

إيتيقا المفهوم الأنثوي من وجهة نظر أخلاق العناية النسوية

*The Ethics of the Feminine Concept from the Perspective of
Feminist Care Ethics*

دغول دنيا زاد *	deghoul dounia zed	فلسفة غربية حديثة ومعاصرة	جامعة وهران 2 – (الجزائر)
	Daghoul451@gmail.com		
بهادي منير	bahadi mounir	فلسفة	جامعة وهران 2 – (الجزائر)
	Bahadim2002@yahoo.fr		

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/22

تاريخ الإرسال: 2024/10/21

ملخص:

يقدم منطق الذكر لنفسه المشروع دوماً، لكي يكون النموذج الصالح والصحيح في الفكر الأخلاقي الغربي، بينما تعرض منطق الأنثى لكثير من الازدراء وعدم الاعتراف والتهميش في الكتابات الأخلاقية وغير الأخلاقية، لقد حاولت الفلسفة النسوية منذ بدايات ظهورها أن تبين أسباب هذا التهميش وتبحث في أصوله التاريخية، إذ بينت أن مشكلة الأنثى في الفكر الغربي هي مشكلة إثبات الوجود، أي إثبات وجود الأنثى، بحيث ترسخ المفاهيم الذكورية بكونها القوية وعقلانية وإيجابية، بينما ترسخ المفاهيم الأنثوية بأنها سلبية وضعيفة، لذلك تطرح النسوية نظرية العناية الأخلاقية كبديل أخلاقي معاصر رافض لجميع أشكال التهميش والازدراء للفكر الأنثوي، كما تعيد الاعتبار للمفاهيم الأنثوية وتستلهم منها نظرية أخلاقية لتصحيح المسار الأخلاقي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة النسوية؛ منطق الأنثى؛ نظرية العناية الأخلاقية؛ منطق الذكر؛ المفاهيم الأنثوية.

Abstract

The logic of the male always presents itself as legitimate, aiming to be the valid and correct model in Western ethical thought, while the logic of the female has faced much disdain, lack of recognition, and marginalization in both ethical and non-ethical writings. Feminist philosophy has sought since its inception to clarify the reasons for this marginalization and to explore its historical roots. It has shown that the issue of the female in Western thought is fundamentally a problem of existence, specifically the affirmation of the female's existence.

* المؤلف المرسل: Daghou451@gmail.com

Masculine concepts are entrenched as strong, rational, and positive, while feminine concepts are established as negative and weak. Thus, feminism proposes the theory of ethical care as a contemporary ethical alternative that rejects all forms of marginalization and disdain for feminine thought. It also seeks to restore value to feminine concepts and draws inspiration from them to develop an ethical theory aimed at correcting the contemporary ethical trajectory.

Keywords: feminist philosophy; female logic; theory of ethical care; male logic; feminine concepts

مقدمة:

تقدّم أخلاق العناية نفسها كبديل أخلاقي معاصر، وفيه تنتقد المفاهيم الذكورية المتمثلة في الهيمنة والحرية والفردية، هذه الأخيرة، التي جعلت الإنسان المعاصر يعيش في حالة أزمة أكسيولوجية، أي أنه فاقد لقيمه، تقدّم أخلاق العناية بدائل جديدة قائمة على المفاهيم الأنثوية والتي تؤسس لأخلاقيات مغايرة ومختلفة تماماً عن الأخلاقيات التقليدية فما هي أخلاق العناية؟ وما هي المفاهيم الأنثوية المؤسسة لها؟ وكيف أثّرت على النظرية الأخلاقية المعاصرة؟

1 _ الأخلاقيات النسوية

بدأ الاهتمام بأخلاق النساء في العصر الحديث، مع كتابات جون استيوارت ميل الذي شرع في تطبيق مبادئ الليبرالية على النساء، معتبرا تحرير النساء ومساواتهن بالرجال هو مطلب أساسي لتقدّم الجنس البشري (ميل، 1998، 136) كما اهتمت ماري ولستونكرافت في كتاباتها بقضية الفضائل الأخلاقية، فاعتبرتها واحدة بين النساء والرجال، ذلك أنّ الأخلاق مشتركة وواحدة في طابعها الإنساني، فدعت لتعليم النساء من أجل تطوير قدراتهن العقلية (wollstoncraft.mary). كما قدّمت المفكرة كاترين بيتشر وكادي ستانسون أفكار في مساندة النساء، لقد ركّزت هذه بالشأن النسوي وبتطوير المرأة في ذاتها وفكرها. (Beecher, 1869) الكتابات إذ تشترك الكتابات النسوية في القرن التاسع عشر في كونها تقترح معرفة خاصة تتّسم بالواقعية والجزئية والعاطفية، ثم تطوّرت هذه الكتابات لتتحول إلى أطروحات فكرية أظهرت قضايا جديدة للمرأة متعلقة بالجنوسة أو ما يسمى بالجنندر.

2- أخلاق العناية

تم التعريف بـ "أخلاق العناية" من خلال الفلسفة النسوية، لكن لا يمكن اعتبار أخلاق العناية كنسخة مطابقة للنسوية، ذلك أن النسويات عموماً يهتمون بقضية المساواة بين الجنسين وحقوق النساء فهي تهتم بالشأن النسوي على المستوى الخاص بينما تركز أخلاقيات العناية على العلاقة الإنسانية، فهي تقدم المفاهيم الأنثوية كمبادئ مناسبة للنظرية الأخلاقية وتحاول تعميمها في المجتمع الإنساني، لذلك تتخذ هذه النظرية الطابع العام لأنها تأخذ التصور النسوي للأخلاق وتحاول تطبيقه على المستوى الإنساني يشطره ذكر\ أنثى. كما يستدعي هذا التمييز تعريف "أخلاق العناية" ليتضح الاختلاف بينها وبين الفلسفة النسوية.

3- مفهوم أخلاق العناية:

أخلاق العناية هي نظرية أخلاقية معاصرة تنأسس على الترابط الإنساني بين البشر، بحيث تعتبر المفكرة الأمريكية فيرجينيا هيلد في كتابها "أخلاق العناية" أن لفظة "العناية" تحمل في طياتها شعوراً ترابطياً بين الأفراد، فالتواصل الموجود بين الكائنات الإنسانية هو موضوع هذه الأخلاقيات، كما أن هذه النظرية قد تطورت لكي تفهم وتقيم هذا التواصل (هيلد، 1990).

كما كتب بول ريكور عن الرعاية فاعتبرها تفاعل مع الآخر، مستنداً على مفهوم الصداقة عند أرسطو، فالرعاية بالنسبة لريكور هي المعاملة بالمثل في العلاقات الإنسانية، بحيث لا تتجه الرعاية في اتجاه واحد نحو مُتلقّي الرعاية بل تكون العملية تبادلية بين المُقدم والمُتلقّي لها، بحيث يواجه المُقدم عدم الإلمام بمستقبل الرعاية، وهذا ما يجعله دوماً يسعى لتوسيع معارفه الخاصة، بل يذهب بول ريكور لأبعد من ذلك حينما يعتقد أن الرعاية تتدخل في تشكيل هوية المُقدم والمُتلقّي لها، ذلك أن صورتنا عن أنفسنا تتشكل قبل كل شيء من خلال الحوار مع الآخرين والاعتناء بهم. (ريكور)

تتدخل الرعاية إذن في معرفة الذات وتقديرها أيضاً، ذلك أن الشخص الذي يحاول الاعتناء بشخص ما، فإنه يحاول أن يعرف أكثر عن ذلك الشخص فيدرك أنه لا يعرف فيسعى لتسيع معارفه هذا ما يجعله أكثر إدراكاً لذاته وأكثر تقديراً لها.

4- المفاهيم الأنثوية لنظرية العناية:

-التّرابط العاطفي: تمتلك العاطفة أهمية كبيرة في هذه النظرية ولكنها في الوقت نفسه

تبدو معقدة بالنسبة للكثيرين، إذ يتفق المنظرون لهذه الأخلاقيات أن الرعاية تستغرق جهداً ووقتاً وطاقة وتنطوي على علاقة متبادلة معقدة بين العمل والمهارات والمهام العاطفية، أي أن هنالك جدلية قائمة بين الجانب الشعوري (العاطفي) وبين الجانب العملي (الممارسة) وبين الجانب العقلي (التخطيط) (Hanlon, 2021).

وهذا ما يضع العاطفة في هذه الأخلاقيات موضع سؤال: فهل يمكن استحضار الاهتمام العاطفي دوماً في الرعاية الجسدية والعملية والشخصية؟ إن هنالك تصوّرين للعاطفة: فالتصوّر الأوّل يرى أن العاطفة مركزية في العناية، ذلك أننا كائنات عاطفية بالضرورة، وبالتالي تقترن الرعاية بالعاطفة دوماً

أما التصوّر الثاني يمثله المفكران لينش ووالش اللذان يعتبران أن العاطفة غير ضرورية في عمل الرعاية، خصوصاً عندما يتعلّق الأمر بالممارسة، فالرعاية لا تتطلب دائماً عمل عاطفي، كما أن العمل العاطفي ليس دائماً رعاية، فحسب هؤلاء الرعاية العاطفية لا تعني دوماً أن تكون "لطيفاً" بل حسيهم تتدخل في الرعاية أساليب السلطة والانضباط والاقناع والتلاعب والسيطرة والحماية وهنا تتدخل الخبرة (أي خبرة مقدّم الرعاية) في تسيير هذه الأساليب من أجل تقديم أحسن عناية ممكنة، ووفقاً لهذا التصوّر فإن العاطفة الصادقة والعميقة غير مطلوبة في ممارسة الرعاية ولكن هذا يطرح مشكلة الترابط الحقيقي بين الأفراد..

في دراسة أجريت على الرعاية في دور رعاية المسنّين في الولايات المتحدة، ينتقد لوبيز التصوّر الثاني الذي يستبعد الأصالة العاطفية في ممارسة العناية، لأن هذا يؤدي إلى الانفصال العاطفي وينتهك التبادلية في المعاملات والعلاقات والتي هي مطلوبة لدى مقدّمي العناية في العلاقات الصحّية. (Hanlon, 2021).

التّواصل: يشكّل التّواصل مفهوم أنثوي بارز في أخلاق العناية، والذي يقصد به التّفاهم الترابطي أو ما يسمّى بالتّداوت الذي تحدّث عنه يوهان هبرماس والذي يقصد به ذلك التّفاعل المُصاغ بواسطة الرّموز والذي يخضع لمجموعة من المعايير الاجتماعية، هذه الأخيرة التي تحدّد مختلف أنماط السلوك المتبادلة على أساس أن تكون مفهومة ومعترف بها بين ذاتين متفاعلتين على الأقل.

يوظّف أصحاب نظرية العناية مفهوم التواصل التداوتي في التواصل الاجتماعي باعتباره الوجه البارز والمهم للعناية سواء كانت هذه العناية ممارسة أو شعور. كما ينطلق أصحاب

هذه النظرية من الأمثلة المتعلقة بالعاية بالأطفال والمرضى والمحرومين ثم قامت بتوسيع مجالها لتشمل المؤسسات السياسية والمناقشات الدولية فتسعى لجعل العلاقات قائمة على العناية والتبعية والتبادل.

الثقة: إن التواصل في العلاقات يؤدي إلى خلق ثقة بين الطرفين، فكلما اعتنيت بشخص أكثر، كلما ازدادت ثقتك به، إن العناية هي سمة أنثوية ترتبط بممارسة العناية وتنفي هذه السمة وجود الفردية المطلقة في العلاقة وبدلاً من ذلك يجب الاعتراف بالاعتماد المتبادل والحاجة إلى علاقات إعتنائية (هيلد، 1990).

لقد كتبت فيرجينيا هيلد عن الثقة وأهميتها في علاقة العناية لكي تثبت أن الحرية الذاتية مجرد وهم، فقد نتصور أنفسنا أفراد ليبراليين في السوق التجارية ونتمتع بالاستقلال الذاتي، ولكن يجب أن لا نتجاهل الواقع الأعمق للتبعية والاعتماد المتبادل لسلامة ونجاح المشاريع التجارية وهذا ما ينطبق على المجالات الأخرى (هيلد، 1990).

الاهتمام: يؤسس الاهتمام لمفهوم العناية على المستوى الخاص، فهو يعني الارتباط بالشخص الذي يحتاج إلى مساعدة، في هذه النقطة يذهب بول ريكور إلى أبعد من ذلك حينما يعتقد أن العناية تتدخل في تشكل هوية الأشخاص، ذلك أن منح العناية يدخل إلى أرض أجنبية عنه فيحاول معرفة ما يجهله عن الشخص الذي يعتني به وهذا يجعله في حالة تذكر دائم لنقاط ضعفه. (ريكور).

تقدم أخلاق العناية هذه المفاهيم الأنثوية كبديل أخلاقي للمفاهيم الذكورية مثل: الفكر، الكلية، الإرادة وبدلاً من ذلك تحاول إعادة الاعتبار لأخلاق الأنثى التي تقوم على العاطفة الأنثوية التي تعرضت لكثير من اللامبالاة، بحيث تهتم كتابات النسويات بمنطق الأنثى الخاص من أجل تصويب الحياة الأخلاقية، هذه الأخيرة التي طغت عليها المادية بسبب منطق الذكر.

في مقالها "التفكير الأمومي" تبين سارة روديك أن الأمومة ليست مجرد غريزة، بل لها فاعلية أخلاقية، فالتفكير العقلاني المجرد هو ليس العملة الوحيدة للأخلاق، بل وجب الالتفات إلى التجربة والتأمل والمشاركة باعتبارها وجه آخر للفعل الأخلاقي، ذلك أن عمل الأم هو أيضاً ممارسة أخلاقية متميزة بحيث تنشأ منها قدرات معرفية وقيم أخلاقية، تجعل الشعور التأمل هو أحد أصعب إنجازات العقل، فهي تمتلك القدرة على التأمل من أجل حماية أطفالها وتنشئهم ومن أجل ذلك تقوم الأم بعملية متداخلة بين التفكير العقلي

والمشاعر والعمل الوقائي (sarra, 1989)

كما أن للأمومة فضائل أنثوية لا يمكن تجاوزها في النظرية الأخلاقية كالنظرة المنتهية للطفل والقدرة على الالتزام والمثابرة والسيطرة على المواقف الصعبة. وفي علم النفس انتقدت كارول جيلجان المنطق الذكوري المهيمن على الأبحاث والتحليل النفسية، خصوصا منهج فرويد وكلبرغ والتي تنتهي دوما باتهام المرأة بالغموض المعرفي، فتؤكد جيلجان أن مشكلة المرأة في علم النفس هي مشكلة تفسير لأننا نحاول فهم المرأة من خلال منطق الرجل معرضين عن منطقها الخاص الذي سيفتح آفاق واسعة في الدراسات النفسية المتعلقة بالنساء.. (gilligan)

خاتمة:

ما يمكن الولوج إليه في هذه الورقة البحثية هو أنّ مساعي أخلاق العناية تنطلق من نقد التصور الذكوري المتحيز في الأخلاق، إلا أن المشكلة التي تواجهها تكمن على مستوى الممارسة، إذ لا يمكن تطبيقها لحل جميع المشكلات الأخلاقية، ففي الخدمات الطبية مثلا قد لا يربح المريض في الدّخول في علاقة عناية بل يريد الاستفادة من الخدمة فقط. إن أخلاق العناية كذلك تتطلب خصوصية الموقف، لذلك تكون المبادئ الثابتة أكثر وثوقية من العاطفة، وهذا ما يجعلها تتعرض للكثير من الانتقادات على المستوى السياسي، إذ تعتبر مناسبة على المستوى الشخصي بدلا من المستوى العام فمثلا هناك من يفضل أخلاق العدالة على أخلاق العناية.

لكن لا يمكن نفي أن الرعاية هي جزء أساسي من الحياة الإنسانية، إذ أنّها تسلط الضوء على العلاقات الإنسانية، أليست العلاقة هي التي تحدد إنسانية الإنسان وبعده الاجتماعي إذن فتحديد طبيعة هذه العلاقة هو تحديد مدى قدرتنا على التّواصل وإثبات لوجودنا، إن البحث في مكامن العلاقات الإنسانية هو أمر مهم للغاية، خصوصا أنّ العلاقات المعاصرة تتصف بالهشاشة، وغارقة في إشباع الرّغبات والمصالح والماديات.

المصادر والمراجع

- Catharine and stowe Beecher. (1869). the American woman's home. new york.
- carol gilligan. in a difference voice. london ,harford.
- Niall Hanlon. (2021). professional caring in affective services:the ambivalence of emotional nurture in practice. EUROPEAN JOURNAL OF SOCIAL , 26 (03).
- Ruddik sarra. (1989). maternal thinking. Boston.
- w.mary. A vindication of the rights of woman with strictures on political and moral subject.

المراجع باللغة العربية:

- بول ريكور، الذات عينها كآخر.
- جون استيوارت ميل، استعباد النساء، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط1، 1998، القاهرة.
- فيرجينيا هيلد، أخلاق العناية، ترجمة مشال حنا متياس، 1990، الكويت